المخاطبات الإلهية والنبوية المقدسة

(نوح (عليه السلام) بين سفر التكوين والقرآن الكريم)

(دراسة مقارنة في نصوص مقدسة)

أ.م.د. حازم عدنان أحمد

ملخص البحث

تستعمل المناهج العلمية في تقرير جوهرية الاديان وما تجذر عنها، والمنهج المقارن هو أحد تلك المناهج الذي تتكشف عنه النتائج العلمية التي يطمئن له البحث والدراسة، وبحثنا هذا يدرس التوصيفات الاخباريةلسيرة نوح (عليه السلام)، في اصحاحات سفر التكوين وآي القرآن الكريم، ويُعرج على الفروق الاخبارية في تلك النصوص المقدسة التي تخلص الى تهديف البيان العلمي وانكشاف الرؤى لتلك السيرة وانجلاء اركانها.

Research Summary

The scientific curriculum is used to determine the fundamental characteristics of religions and what is rooted in them, and the comparative approach is one of those methods which reveal the scientific results that reassure him. This research examines the descriptions of Noah's biography in the chapters of Genesis and the Holy Quran, The news differences in those sacred texts that lead to the pursuit of the scientific statement and the exposure of the visions of that biography and the evacuation of its pillars.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، اما بعد:

فقد ثّبت معلمو الشريعة اليهودية في سنة (٩٠ ب م)، لائحة نهائية وكاملة للأسفار المقدسة، وهي بجملتها تشكل الايمان اليهودي وأساسه، وتبّنت المسيحية فيما بعد تلك الاسفار وأسمتها بالأسفار المقدسة أو اسفار العهد القديم، وترجع هذه التسمية الى بولص الرسول[١] الذي سمى التوراة بالعهد القديم، ويعدُّ العهد القديم على حد تعبير رجالات المسيحية بالمدخل الى الكتاب المقدس. ويشتمل العهد القديم على ثلاثة أقسام: (الاول:التوراة التي هي أسفار موسى الخمسة، والثاني: أسفار الانبياء، والثالث: المزامير والامثال ونشيد الانشاد وبقية أسفار الحكمة.. وغيرها).

وقد قدم سفر التكوين ـ السفر الاول من التوراة ـ للمحققين والدارسين في حقل الاديان المقارنة فيضاً من الاخباريات الغائرة في لجج التاريخ، فالمعطى الموضوعي لسيرة نوح(عليه السلام)، المنحدر من اصحاحات سفر التكوين حط رحاله حول توجيه الدراسة نحو نوافذ منظورة يتبين منها جوانب من تلك السيرة. وقد جذبت تلك النوافذ النظر العلمي نحو مخاطبات تمس الذات العلية الالهية القدسية، ومقامات الانبياء(عليهم السلام) ومنازلهم. فالسفر سجل في اصحاحاته مخاطبات صدرت من الذات الالهية النوح(عليه السلام)، يفهم منها الاحوال المكانية والزمانية والوقائع والافاعيل البشرية، وبالرغم من هذا الفيض

[١]ينظر رسالته الى كورنثوس:٢: ٣-١٤

الاخباري الا اننا نجده متواضعاً إذا ما قورن بالمعطى الموضوعي القرآني، فان الآيات القرآنية قدمتكمالات اخبارية عن المخاطبات الالهية والنبوية تتجلي منهاشخصية نوح(عليه السلام) ومعالم دعوته، واحوال قومه ومواقفهم من تلك الدعوة .

من أجل هذا جاءت الدراسة بعنوان: (**المخاطبات الالهية والنبوية المقدسة – نوح(عليه السلام)، بين سفر التكوين والقرآن الكريم– دراسة مقارنة في نصوص مقدسة).** لتزيح الاستار عما اغفلته تلك النصوص التوراتية.

وهناك بواعث اخرى التي هي وازع الدراسة:

١. بيان شرف النص الديني، وإظهار الفارق التقديسي وما ينضوي تحته من حديث تنزيهي بحق نبي الله نوح (عليه السلام).
٢. بيان مفاهيم قدسية النص، إذا ما وضع بين العصمة كونه النازل المقدس من الله (عزوجل)، وما بين وضعه بلغة التأليف القصصي من بشرٍ حفتهم القداسة والتبجيل.
٣. بيان أحوال المخاطبات مع الله تعالى ومقاماتها، وعقد المقارنة لها والخلوص الى الرؤى الهادفة من الخطاب وأنواعه.
٤. المقارنة بهذا المنظور تعطي الكمالات الاخبارية عن أمور جهلتها تلك النصوص.

موضوع الدراسة: ركز الباحث في دراسته على موضوع رئيس هو إجلاء حقيقة المخاطبات المقدسة ومقاماتها، والوصول الى فهم دقيق لسيرة نوح(عليه السلام)، ودعوته والاحوال التي حفت القوم ومآلهم الفاجع جرآء الذنوب والمعاصي.

منهجية البحث:استعمل الباحث منهج التحليل في إخضاع المخاطبات المقدسة الى النظر في الفاظها وتفكيك مفرداتها، ثم تحويلها الى الدراسة المقارنة بين معطيات اصحاحات سفر التكوين، ومعطيات آي القرآن الكريم والخلوص الى نتائجها العلمية.

خطة الدراسة:قسّمت دراستي على مبحثين تتفرع عنها مطالب عدة، فأما المبحث الاول فكان بعنوان التعريف بالمخاطبات الالهية والنبوية المقدسة في اللغة والاصطلاح ثم عمدت الى تأصيل المخاطبات المقدسة وبيان معطياتها، وفي خمسة مطالب، واما المبحث الثاني فقد قسمته بحسب موضوع المخاطبات المقدسة وجعل تلك المخاطبات خاضعة الى منهج التحليل والمقارنة وفي خمسة مطالب؛ فأما الاول فكان بعنوان عصر نوح(عليه السلام)، بين التصوير التوراتي والقرآني الذي بينت فيه فساد الارض وأهلها بحسب التصوير التوراتي واحوال الناس وحقيقية الفساد الذي احدثوه الناس وفي محور مستقل، ثم تبعه المحور المقارن من منظار قرآني ليخبر عن حقيقة الفساد الذي حّل بأهل الارض. وأما المطلب الثاني ففيه بيان للخطاب الالهي الذي ينجلي عنه أهم سمات شخصية نوح(عليه السلام)، وبالمقارنة بين سفر التكوين وآي القرآن الكريم، ثم يأتي المطلب الثالث الذي اوقفناه لنبرز فيه معالم رسالة نوح (عليه السلام)، تبعاً للخطاب الالهي المقدس الذي صورته النصوص المقدسة من اصحاحات سفر التكوين وآي القرآن الكريم، وأما المطلب الرابع فجاء بعنوان صناعة الفلك تبعا للأمر الالهي وماتفرع عنه من مسائل تفسيرية وشبهات قادت بالباحث الى وضعها تحت طائلة التحليل والنقد، ثم يأتي المطلب الخاتم الذي يختم الدراسة فكان بعنوان المخاطبة المقدسة في نهاية الخلق بين السفر

وآي القرآن الكريم، وفيه محاور نقاشية حول طوفانية الارض وأهلها. ثم تأتي خاتمة الدراسة المقارنة ونتائجها، وقد اردفت الخاتمة بثبت المصادر والمراجع التي استعملها الباحث في دراسته، ثم ملخص البحث باللغة الانكليزية.

والله أسال ان يجعل أعمالنا خالصاً لوجهه الكريم، وان يفتح علينا لنصرة الدين القويم انه هو الفتاح العليم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

المبحث الاول

التعريف بالمخاطبات الالهية والنبوية المقدسة وتأصيلها ومعطياتها

المطلب الاول: تعريف المخاطبات لغة واصطلاحاً.

المخاطبة في اللغة : هي مصدر خَطَبَ يَخطبُ مخاطبةً، وتخاطباً، قال الراغب:" والمخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام"[١]. جاء في المصباح:" خاطبه مخاطبة وخطاباً، وهو الكلام بين متكلم وسامع، ومنه اشتقاق الخطبة ـ بكسر الخاء ـ باختلاف معنيين، فيقال في الموعظة خَطَبَ القوم.."[٢].

والمخاطبة لا تكون الا بإجراء الكلام بين المُخاطَبين.. وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وهما يتخاطبان[٣]

إذن نفهم أن الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان[٤].

واما في الاصطلاح فهي لا تخرج عن معناها اللغوي فإنها المواجهة بالكلام[٥]

---

[١]المفردات في غريب القرآن، لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الدوادي، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٤٢هـ، ط١: ٢٨٦/١.

[٢]المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لاحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبي العباس (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت: ١/ ١٧٣.

[٣]لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي ، ابي الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري الافريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت،ط٣، ١٤١٤١هـ: مادة (خطب)، ١١٥/١٤.

[٤]ينظر: المفردات: ١٧٠، ولسان العرب: مادة (خطب).

[٥]أساس البلاغة، جار الله محمود الزمخشري (ت٥٣٨)، دار الفكر، بيروت ط١، ١٩٧٩م:١١٥.

المطلب الثاني: تعريف المقدس لغة واصطلاحاً.

المقدس في معاجم اللغة هو مايدل على الطهر[١] ، والتطهير والتبريك، وقدوس بفتح أولهما، ومعناه المبارك[٢].

وفي الاصطلاح هو تطهير الحق(جل ثناؤه)، من كل شيء لايليق بجنابه من الإمكان والاحتياج والنقائص الكونية..[٣]. وعن جميع ما يعد كمالاً بالنسبة الى غيره من الموجودات مجردة كانت أو غير مجردة..[٤]

المطلب الثالث: إجمال التعريف.

إن ماتقدم من معان للمخاطبات، نجد الصورة الدلالية تتصف بالمواجهة بالكلام، غير ان تقييد المخاطبة بـ(المقدس)، تؤول الى تخصيص الذات الالهية القدسية، والخطاب الصادر من الله تعالى يفترق طرقه كون الخطاب هو المواجهة بالكلام، والتواجه هنا له قدسه ومراتبه بالنسبة للأنبياء والمرسلين(عليهم السلام)، فمن حيث نزوله من الذات القدسية فانه الخطاب أو المخاطبة المقدسة، ومن حيث تلقيه من قبل الانبياء والمرسلين فانه التنزيل

---

[١]ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٢٠٣/٦، ومعجم مقاييس اللغة، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر: ٦٣/٥ ـ ٦٤.

[٢]ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابي جعفر الطبري، دار الفكر بيروت، ١٤٠٥هـ : ٥٤/٨.

[٣]شرح فصوص الحِكَم، لابن عربي المسمى توضيح البيان، الشارح سيد يعقوب خان أفندي (ت١٨٩٩م)، ضبطه وصححه وعلق عليه د. عاصم ابراهيم الكيالي، كتاب ناشرون، بيروت ـ لبنان: ص٧١.

[٤]التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق: ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت ١٤٠٥هـ : ١٠٦.

المقدس وان اختلفت طرق المخاطبة كـ (الوحي أو من وراء حجاب..)، ومخاطبة النبي أو الرسول لله تعالى فهو خطاب مقدس، لان المخبر عنه هو الله تعالى في نصوص مقدسة.

المطلب الرابع: تأصيل المخاطبات المقدسة:

علمنا ان المخاطبة تتجابه بين طرفين لتستوي لغة الفهم، غير اننا بحاجة الى تأصيل المخاطبات المقدسة، وقد اغنانا القرآن الكريم عن هذا وكشف لنا عن قاعدة للمخاطبات المقدسة لتصبح قيداً لا يمكن تجاهله، وتتجلي هذه القاعدة في الاخبار الالهي الصريح بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1]

والآية الكريمة كشفت عن كيفيات المخاطبات المقدسة، يقول الرازي في تفسير هذه الآية :" وما صح لاحد من البشر أن يكلمه الله الا على أحد ثلاثة أوجه، إما على الوحي وهو الالهام والقذف في القلب أو المنام كما أوحى الله الى أم موسى وإبراهيم في ذبح ولده.. واما على أن يسمعه كلامه من غير واسطة مُبلغ، وهذا ايضاً وحي بدليل أنه أسمع موسى كلامه من غير واسطة مع أنه سماه وحياً، قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾[2]، وهو المراد من وراء حجاب، وإما أن يرسل اليه رسولاً من الملائكة فيبلغ ذلك الملك الوحي الى الرسول البشري فطريق الحصر أن يقال وصول الوحي من الله الى البشر.."[3].

---

[1] سورة الشورى، الآية (٥١).

[2] سورة طه، من الآية (١٣).

[3] التفسير الكبير ، الامام الفخر الرازي: دار التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٨٦/٢٧-١٨٧.

اذن لابد ان تنطق النصوص المقدسة بأحد هذه الاوجه عند تحقيق المخاطبة المقدسة في فقراتها أو آياتها. ليكون المقام القدسي لله تعالى منزه عما لايليق بذاته، ولا وصفه بمخاطبات البشر مع البشر. بل الانبياء(عليهم السلام)، لهم مقامات الرفعة عند الله تعالى، وهم المصطفون الاخيار عن سائر العباد، والله مريد في مخاطبته لهم بما يستطيعون تحمله من قدرة البشر وكينونتهم، وإذا فاقت القدرة البشرية لا يستطيعون احتماله، ومثاله ما حكى الله تعالى عن موسى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾[1] . ثم يذكره ربه بقدرة البشر المحدودة مقارنة بالجبال الشامخة الصلدة بقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾[2].

ثم عودٌ على بدء فالمخاطبة بتلك الاوجه لابد لها من أساليب وصيغ، ولعلنا نجد عند التحقيق استعمال اسلوب النداء الذي هو أسلوب من اساليب الكلام، وطريق من طرائق المخاطبة، ومن الشواهد في القرآن الكريم استعمال(الياء)، في نداء الله لنوح: (يا نوح..)، والياء هي أم باب النداء، التي تستعمل للبعيد والقريب على حد سواء بحسب بخلاف بعض النحاة الذين قالوا إنها موضوعة للنداء البعيد، وإذا نودي بها القريب فلحرص المنادي على إقبال المدعو عليه[3]، ويتجلى الشاهد من حديثنا هو تحقيق محور نداء الاعلى الى الادنى وصوره المنوعة في المخاطبات المقدسة، للإفصاح عن عظمة الله

[1] سورة الاعراف ، من الآية (١٤٣).

[2] سورة الاعراف، من الآية(١٤٣).

[3] ينظر: شرح كافية ابن حاجب،

تعالى في ارشاد خلقه وتحقيق صلاحهم الدنيوي والآخرويوفلاحهم، ومخاطبة الله للرسل كي يعلموا خطاب الله ويفقهوه ويبلغوه، ومخاطبة الرسل اقوامهم كي ينذروهم من ظلمات الشرك، وتبليغهم شريعة الله (عزوجل)، من الاحكام ومقاصدها التي تخلص الى الاوامر الوجوبية والنواهي المحرمة.

واما في سفر التكوين في فقرات اصحاحاته، نجد أن كاتب السفر يستعمل: (القول ومقوله)، (فقال الرب، وقال الله لنوح..)، وهذه الجمل في اللغة العربية تسمى جملة مقول القول التي تقع بعد فعل القول ، كقال، حدّث، هتف، صرخ... الخ من أفعال القول. والاستعمال بهذا الاعتبار يفيد الاخبار عن الحكايات ولم تخرج دلالاتها الى اغراض متعددة لتحقق فهم دقيق لأركان سيرة نوح(عليه السلام)، وغيرها في اسفار التوراة. بينما نجد دلالة فهم النص أشمل وأوضح عند التأمل في تلك النصوص القرآنية، لان الاغراض البلاغية للنداء تخرج الى معان متعدد، منها:(التمني، التأسف، الالتماس، التحبب، التحدي .. وغيرها من الأغراض). وشواهدها القرآني مبسوطة في السياق القرآني، ومن تلكم الشواهد ففي التماس ، قوله تعالى حكاية عن يعقوب (عليه السلام): ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[1]، ومن التحدي والتعجيز نداء الله تعالى الى الجن والانس: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾[2] .

---

[1] سورة يوسف الآية (٨٧).

[2] سورة الرحمن، الآية (٣٣).

المطلب الخامس: معطيات المخاطبات المقدسة :

أولاً: معطيات سفر التكوين للمخاطبات المقدسة:

اشتملت التوراة على خمسة اسفار، وكل سفر يحتوي على اصحاحات، والاصحاح الذي هو الفصل يشتمل على فقرات متسلسلة " وإن الاسفار في الكتاب المقدس:(تكوين، خروج، لاويين، عدد، تثنية)، تُكون وحدة أدبية كاملة، وكانت تدعى:(الدروج الخمسة)، وهذه الاسفار الخمسة المستقلة كتبت كوحدة غير منقطعة في المحتوى والتسلسل التاريخي، إذ كلُّ سفرٍ لاحق يبدأ حيث انتهى السفر"[١].

ويعدُّ سفر التكوين أول أسفار التوراة ويشتمل على خمسين إصحاحاً، وأما حلقاته الموضوعية فهو يخبر عن عمل الله بادئاً بكيفية خلق الله للكون، ومع أن الكون عظيم، لكنه يبقى خاضعاً لله[٢] ـ وكل الاصول الوجودية هي خاضعة لمشيئة الله عز وجل ـ ومجمل الإخبارات التاريخية للسفر هي :(قصة آدم ـ عليه السلام ـ وابنيه قايين وهابيل، وذريته، وقصة نوح ـ عليه السلام ـ والطوفان الرهيب وتعمير الارض، ثم قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقصة اسحق ويعقوب، واخيراً قصة يوسف ـ عليه السلام)[٣]. فضلاً عن نسب نوح والفاصل الزمني بينه وبين آدم (عليهما السلام)، وقد أجمل التفسير

---

[١]تفسير الكتاب المقدس، جون ماك آرثر، دار منهل الحياة: ص٣٩.

[٢]ينظر: الكتاب المقدس، مقدمة سفر التكوين، جمعية الكتاب المقدس في لبنان: ص١.

[٣]ينظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة، مصر: ص٣.

التطبيقي هذه الإخباريات وتفصيلاتها بمحاور موضوعية رئيسة، وهي: (البدايات، العصيان، الخطية، الوعود، الطاعة، النجاح، بنو إسرائيل). [١]

وان الروايات ـ على حد تعبير سعيد حبيب ـ " التي تضمنها السفر لم نُتخب لأهميتها السياسية أو قيمتها التاريخية، إنما انتخبت لتظهر للملأ قصد الله نحو الانسان وعلاقته بالجنس البشري والمصير الذي أعده له.. لكي يسكن العالم البشر يسيرون في طريق الله".[٢]

فحلقاته الموضوعية لها قانونيتها لدى اليهود والمسيحيين، من كونه مؤلف إلهي واحد، يقول آرثر: " إن الكتاب المقدس هو بالفعل كتاب واحد مؤلف الهي واحد، وان كان قد كتب في اثناء فترة دامت (١٥٠٠) سنة بأقلام نحو (٤٠) كاتباً بشرياً"[٣].

واندرج تحت سفر التكوين معطيات تاريخية لقصة نوح(عليه السلام)، وما آل إليه أمر الخليقة في ذلك الزمن الغابر من وقائع واحداث عظيمة، فنجد السفر في إصحاحاته: (٦، ٧، ٨، ٩، ١٠)، تعطي تصويراً عن فساد أهل الارض، واصطفاء نوح، ثم يخبر عن فاجعة عظيمة حلّت بأهل الارض جزاءً لما أحدثوه من فساد وانحراف عن جادة الصواب، فهو يخبر عن وقوع طوفان عظيم شمل أهل الارض جميعاً، ولم ينجِ منه أحد سوى نوح وأهله ومن حمل في السفينة من الحيوانات .. وغيرها .

---

[١]ينظر: شروحات المحاور في التفسير التطبيقي: ص٤

[٢]المدخل الى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الادنى: ص٧٣

[٣]تفسير الكتاب المقدس، جون ماك آرثر: ص٢٣.

وتدور تلك الصور في اطر المخاطبات الالهية التي بسطتها تلك الاصحاحاتفي ثناياها .

ثانياً: معطيات آي القرآن الكريم للمخاطبات المقدسة:

اشتملت بعض سور القرآن الكريم اخبارات جلية عن نوح(عليه السلام) ، مبينة معالم دعوته وواصفة احوال العصر الدينية،ومواقف قومه من دعوته اليهم، ثم تخبر عن الطوفان الذي حلّ بقومه ونجاته هو من معه، وذلك في آيات كريمة عدة[1]، ثم إذا ما تأملنا السور الكريمة نجد أن هناك سورة تامة بآسم نوح (عليه السلام)، فصّل الحق جل ثناؤه الاخبار الصريح لسيرة نوح (عليه السلام)، ينهل منه الباحثون ما أغفلت عنه تلك الاصحاحات التوراتية. فقد سجلت تلك الآيات الكريمة المخاطبات الالهية والنبوية المقدسة بتفصيلات كلها.

[1]ومن تلك السور: سورة الاعراف: الآية (٥٩)/سورة هود، الآية (٢٥)/ سورة المؤمنون، الآية (٢٣)/ سورة العنكبوت ، الآية (١٤)/ سورة الشورى، من الآية(١٣)/سورة الحديد، من الآية (٢٦).

المبحث الثاني

المخاطبات الالهية المقدسة بين سفر التكوين وآي القرآن الكريم

المطلب الاول: عصر نوح (عليه السلام)، بين التصوير التوراتي والقرآني:

اولا: (فساد الارض وأهلها) في التصوير التوراتي والخطاب الإلهي:

١. **أحوال الناس:** بيَّن كاتب السفر أحوال الناس في الأرض ، فيذكر " وفسدت الارض أمام الله وامتلأت عنفاً. ونظر الله الأرض فرآها فسدت لأن كُلَّ بشر أفسد سلوكه فيها"[١]

٢. **حقيقة الفساد:**جاء في الإصحاح السادس عن حقيقة الفساد : " وإذ ساد الشّر الأرض أمام الله وعمّها الظلم. نظر الله وإذا بها فاسدة لان كل بشر على الأرض قد سلك في طريق الاثم"[٢]، ثم عودٌ على بدء نجد أن الشر هو مقصور بحسب أخبار السفر على الزواج الحاصل بين أبناء الله وبنات الناس، يقول السفر: " ولما بدأ الناس يكثرون على وجه الأرض وولد لهم بنات. رأى بنو الله أن بنات الناس حسان فتزوجوا منهن كل من اختاروا"[٣]. وبالنظر الى التفسير التطبيقي للكتاب المقدس نجد تأويل هذا النص يدور حول حقيقية الزواج والفساد اللذان أشار إليهما النص المقدس، يقول التفسير:" ليس من المتحمل أن يكون أبناء الله هم الملائكة لان الملائكة لا يتزوجون ولا يلدون.. ويعتقد بعض العلماء أن هذه العبارة تشير الى أبناء شيث (وهم شعب الرب).. ولكنهم لم يعودوا أتقياء وعليه فهذه الاعداد تحدثنا عن الزواج المختلط بين نسل

---

[١] سفر التكوين: ٦:١١-١٢

[٢] سفر التكوين: ٦: ١١-١٢.

[٣] سفر التكوين٦: ١-٢

شيث الاتقياء ونسل قايين الأشرار. ولابد أن هذا الزواج أضعف الجنس التقي، وزاد من الفساد الادبي في العالم، وأدى تزايد عدد السكان إلى تزايد الشر"[١]. فغضب الرب.

ويتوسع (جون ماك) في تحقيق معاني هذا الزواج، بالقول فـ :" أبناء الله المُعرَّف عنهم في أمكنة أخرى بأنهم الملائكة على الارجح.. رأوا بنات الناس، فاتخذوهن نساءً لهم، هذا أسفر عن اتحاد عجيب تعدَّى ما رسمه الله لنظام زواج البشر وإنجابهم.. أما الفقرة فتشدد على الملائكة والبشر يضع العهد الجديد هذه المعلومات في سلسلة أحداث أخرى واردة في سفر التكوين ويحسبها تُعبر عن ملائكة سقطوا وسكنوا في البشر.. وما ورد في متى ٢٢: ٣٠[٢]، لاينفى إمكانية الإنجاب لدى الملائكة إنما لا يتزوجون فلكي ينجبوا جسدياً لابد من امتلاكهم أجساد ذكور بشرية"[٣]

فالشّر تصوير للأفكار على حد تعبير ماك: " تصور أفكار قلبه.. شرير كل يوم. انها واحدة من أقوى وأوضح العبارات التي تتناول طبيعة الانسان الآثمة. فالخطية تبدأ في الفكر.. وفي أيام نوح كان الناس أشراراً حتى الفيض من الداخل والخارج"[٤].

ثم بعد هذا الفساد الذي ذكرته فقرات السفر تبدأ المخاطبة الالهية المقدسة بغضب الله تعالى، فيذكر الإصحاح أن الله قال لنوح: جاءت نهاية كل

---

[١]التفسير التطبيقي: ص٢٣، هامش ٦:١-٤.

[٢]وهذا نصه: " ففي القيامة لا يتزاوجون بل يكونون مثل ملائكة في السماء"

[٣]تفسير الكتاب المقدس: ص٦٧-٦٨، هامش ٦-٢.

[٤]المصدر نفسه:ص٦٧، هامش٥: ٦.

البشر فالأرض امتلأت عُنفاً على أيديهم وها أنا أهلُكُهم مع الأرض"[١]. وصيغة الخطاب الالهي هنا يتجلى باستعمال أحد أفعال القول .

ولنقف على الفساد والشّر الذي أحدثوه الناس، ونقرأ قبل وقوع العقاب فقرات لكاتب السفر:" ورأى الرب أن الشّر الانسان قد كثر في الارض.. مملأ قلبه الاسف والحزن لأنه خلق الانسان.. لأني حزنت أني خلقته"[٢]. ولنقف على(حزن الله)، ولتبين معاني حزن الله من كتب تفاسير القوم، فقالوا: " كان تعبيراً عن حزنه على ما فعله الناس ضد أنفسهم، وهو نفس شعور الوالدين بالنسبة لولد عاق، لقد حزن الله لأن الناس اختاروا الخطية والموت عوضاً عن علاقتهم معه.."[٣] . ويحاول أوغسطينوس تعليل معنى غضب الله وتأسفه، بالقول: " غضب الله ليس انفعالاً يعكر صفاء عقله، إنما هو حكم خلاله تقع العقوبة على الخطيئة كما يقول: غير (المتغير الله) بغير الاشياء، وهو لا يتأسف كالإنسان على أي شيء عمله ، لان قراره في كل شيء ثابت ومعرفته للمستقبل أكيدة، لكنه يستخدم مثل هذه العبارات لما أمكن ادراكه بواسطة عقول الناس المحتاجين أن يحدّثهم بطريقة مألوفة لأجل نفعهم.."[٤].

وإذا كان هذا التأويل هو الخروج من الفهم البسيط لمعاني حزن الله وتأسفه، فلملذا كاتب السفر ينسب الندم الى الله؟ : " فندم الرب أنه صنع الانسان على الارض وتأسف في قلبه"[٥]. فما معنى الندم بحق الله تعالى،

---

[١]سفر التكوين: ٦: ١٣.

[٢]سفر التكوين: ٦:٥-٧.

[٣]التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ص٢٣، الهامش ٦:٦-٧.

[٤]مدينة الله، اوغسطينوس: ص١٦٥-١٦٦.

[٥]سفر التكوين: ٦:٦

أليس الندم بحق الله هو اتصافه بالجهل؟ وكيف يكون معرفته للمستقبل أكيدة ـ كما قال أوغسطينوس ـ وكيف يكون جاهلاً لما سيحدث في المستقبل؟

وجملة التحقيق يقودنا الى القول بعدم معقولية النص المقدس بحق الله تعالى.

ثانياً: المخاطبة الالهية في فساد أهل الارض في التصوير القرآني:

تختلف آي القرآن اختلافاً جلياً في بيان أحوال الناس في زمن نوح(عليه السلام)، التي سطرتها اصحاحات سفر التكوين، فالفساد الذي حدث لم يكن اساسه الزواج الحاصل بين نسل شيث ونسل قايين، وغلبة نسل الشر الذي هو نسل قايين على نسب شيث الاتقياء.. وماشاكل ذلك من شروحات لنصوص السفر المقدس، بل أن الفساد سببه ـ بحسب الاخبار القرآني ـ الانحراف التام عن التوحيد، وعبادة الاصنام، لذلك عند النظر في الاخبار القرآني نجد صور لأحوال الناس منذ زمن آدم(عليه السلام)، الى عصر نوح(عليه السلام).

فقد سار الناس زمناً طويلاً على نهج واحد منذ آدم (عليه السلام)، الى زمن نوح (عليه السلام)، الا وهو التوحيد قال تعالى:﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً .... ﴾[1]. أي كان الناس في زمانه ـ أي آدم عليه السلام ـ أهل ملة واحدة، متمسكين بالدين تصافحهم الملائكة، وداموا على ذلك ..[2].

غير ان الامر لم يسر على ذلك النهج الصافي القويم، فتسرب الشرك فأفسد العقول ولوث القلوب، فانحرف البشر من التوحيد الى الوثنية، ولعل

---

[1]سورة البقرة، من الآية (٢١٣).

[2]تفسير آيات الاحكام ، لابي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٣/ ٣١.

التصوير القرآني اعطى وصفاً دقيقاً في انحراف البشر عن جادة التوحيد، قال تعالى حكاية عن قوم نوح : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[1]، والحق في هذا المقام ان هؤلاء ليسوا بآلهة، كما جاء عن ابن عباس (رضي الله عنهما): هي " أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمَّا هَلكوا أوحى الشَّيطان إلى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصاباً وسمُّوها بأسمائهم فَفعلوا، فلم تُعبد حتى إذا هَلك أولئك وتَنَسَّخ العلم عُبِدت" [2]. وقد نقل ابن كثير في معرض تفسيره للآية: (وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قولاً لابن جرير قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح. وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال اصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كن اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم، فصورهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ اليهم ابليس فقال: انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم[3]. ومع تطاول الزمن اصبحت عبادتهم موروثاً دينياً، توارثته اجيال عدة[4].

---

[1]سورة نوح، الآية (٢٣).

[2]فتح الباري شرح صحيح البخاري، للامام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار السلام ، الرياض، دار الفيحاء دمشق، كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى: چ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا چ ، ٨/٨٥١، برقم (٤٩٢٠).

[3]تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، تحقيق: دكتور السيد محمد السيد وآخرون، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م: ٨/٢٠٩.

[4]لمزيد من الاطلاع على توارث عبادة الاصنام خاصة عند العرب في عصر ما قبل الاسلام، ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير ٨/٨٥٢.٨٥٤.

ولسنا في مقام فرز تفسيراً نفسّر بها أفاعيل قوم نوح تجاه عبادة الاصنام، بقدر ما نريد الاشارة اليه هو أن قصّر النظر ووحي الشيطان يقودان الى الانحراف عن جادة الحق، فنظر قوم نوح(عليه السلام)، دّار حول المحسوس والتبرك به كي تطمئن قلوبهم به، وترك نظرهم حول عالم الغيب والشهادة والايمان القلبي به.. فالفساد حّل بالقوم وتحقق الآثم بهم عند ترك الايمان الفعلي والقلبي بالإله الواحد، والانشغال بعبادة الاصنام.

ثم بعد هذا الآثم العظيم الذي هو عبادة الاصنام، يحدثنا القرآن الكريم عن بدء المخاطبة الالهية المقدسة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1].

ومن الملاحظ أن صيغة الخطاب جاءت بأسلوب الطلب من الاعلى الى الادنى الذي يفيد الامر بتبليغ القوم وانذارهم.

المطلب الثاني: شخصية نوح (عليه السلام)، بين سفر التكوين والقرآن الكريم:

اولاً: شخصية نوح كما يصوره سفر التكوين:

يصور لنا سفر التكوين نوحاً بالرجل الصالح، وعلى ما يبدو عند قراءة السفر نجد أن له منازل عند الله تعالى، يقول السفر: " إن نوحاً كان رجلاً صالحاً كاملاً لا عيب فيه وسلك نوح مع الله"[2]، ثم نقرأ ـ في نص آخر ـ " كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله"، يقول آرثر:" ثمة ترتيب يُعبر عن ارتقاء في الصفات الروحية أمام الله (باراً)، تعني السلوك بحسب مقاييس برِّ الله

[1]سورة نوح، الآية (١).

[2]سفر التكوين: ٦:٩.

(كاملاً)، تُرفعه عن معاصريه إذا ما قورن بهم، (سار مع الله)، تضعه في مصاف أخنوخ"[١].

فنوح ارتقى الى مصاف الرجال الاتقياء لمخالفة سلوك قومه، لذا نجد ترتيب الارتقاء في الصفات الروحية يصل الى درجة الكمال.

غير إن النصوص لم تشرِ الى نبوته أو رسالته، ولا ندري لماذا لم يضع كاتب السفر نوحاً في مصاف الآباء الاوائل من الانبياء (عليهم السلام)، ووضعه في مصاف الرجال الأتقياء الصالحين فحسب.

وقد يكون هناك التفاته من د. بكر زكي عوض، فيقول: " وهو من أساليب التعبير عن النبوة والرسالة في العهد القديم"[٢]، وإذا كانت تعابير العهد القديم من كون الرجل باراً أو صالحاً أو حظي بنعمة الله يكون تقريراً لنبوته ورسالته، فإن هذا لا يستقيم في الإخبار الالهي من بيان الصورة الواضحة للرسل ودعوتهم وأحوال قومه، وبسط الحِكم المستفادة منها الذي يعدّ جوهراً رئيساً في الاخبار عن سّيرهم . من أجل هذا نجد أن هناك إخفاق كبير في الإخبار.

ثم يعمد الكاتب الى القول في فقرة (٨)" أما نوح فنال رضى الرب" وفي فقرة(٩) " وهذه سيرة نوح..". ويستعمل كاتب السفر الاسلوب القصصي في بيان احوال الناس ثم في وسط ذلك الحال الفاسد ـ على حد تعبيره ـ يظهر رجل

---

[١]تفسير الكتاب المقدس:٦٧.

[٢]دعوة الرسل ، د. بكر زكي عوض، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م: ١٦٧/١.

بار كبطل شعبي يخالف اهل الارض في أحوالهم ويرتقي الى مراتب الرضا عند الله، فيخاطبه الله تعالى في أمر الناس وأحوالهم الفاسدة.

غير إننا لابد أن نفهم كيفية المخاطبة مع نوح، وماهي الوساطة التي تم الخطاب بها؟ فلم يسفعنا كاتب السفر لتتضح لنا الرؤيا، ونفهم كيف أن نوحاً تلقى الخطاب ثم فهمه وعَقَله عن ربه؟.

وإذا ما عدنا قليلاً الى الوصف الذي قدمه كاتب السفر عن شخصية نوح(عليه السلام)، من كونه رجلاً باراً كاملاً، فنكون بين مقامين: الاول مقام الرجل الصالح، والثاني مقام تكليم الله لنوح (عليه السلام)، فإذا اعتمدنا المقام الثاني علمنا بالضرورة إن الله لا يكلم انبيائه ورسله الا كما ذكرنا في المطلب الرابع. وأما الاخبار التوراتي فقد تعدى الوصف الى أن التكليم يكون مباشرة من دون وساطة وما حصل مع نوح هو رفع لكل الوساطات والحديث متصل مع الله تعالى، وكان الاجدر ان يخبر السفر أن الله أوحى الى الرجل الصالح بطريقة تُعظم الله تعالى.

ثانياً: شخصية نوح(عليه السلام)، كما صورتها آي القرآن الكريم:

تظافرت آي القرآن الكريم في بيان شخصية نوح (عليه السلام)، ومن تلك الآيات :

١. إنه من المصطفين الاخيار، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]

[1]سورة ال عمران ، الآية (٣٣).

٢. إنه كان عبداً شكوراً، قال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[١].

٣. إنه نبياً رسولاً، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[٤].

٤. أخذ الله تعالى منه الميثاق، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[٥]، أي: " أنه أخذ الله تعالى ميثاقهم بتصديق بعضهم بعضاً والإعلان بأن محمد رسول الله وإعلان رسول الله(ﷺ)، أن لانبي بعده"[٦].

---

[١]سورة الاسراء / الآية (٣).

[٢]سورة الاعراف: الآية (٥٩).

[٣]سورة العنكبوت ، الآية (١٤).

[٤]سورة الحديد، من الآية (٢٦).

[٥]سورة الاحزاب، الآية (٧).

[٦]روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لابي الفضل شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: محمد أحمد الامد، و عمر عبد السلام السلامي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩: ٢٠٦/٢١

٥. سلام من الله عليه، قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[١].

هذه الشمائل جمعتها الآيات الكريمة بحق نوح(عليه السلام)، وصرحت اصحاحات سفر التكوين بعبارة مجملة كونه باراً الى ربه، والفارق الذي يجب أن يذكر في هذا المقام هو عدم تصريح السفر بنبوة نوح (عليه السلام)، ورسالته لقومه، وأن الله تعالى: "بعث .. عبده ورسوله نوحاً (عليه السلام)، يدعو الى عبادة الله وحده لاشريك له، وينهى عن عبادة ما سواه، فكان أول رسول بعثه الله الى أهل الارض.."[٢].

وعلى هذا التحقيق يكون نوح (عليه السلام) نبياً رسولاً يوحى اليه، والوحي هو الوساطة مع الله الذي اغفلته اصحاحات السفر، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[٣] .وقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾[٤] .

المطلب الثالث: رسالة نوحبين سفر التكوين وآي القرآن الكريم:

اولاً: رسالة نوح في سفر التكوين:

لم يذكر سفر التكوين أي مَعلم من معالم دعوة نوح للقوم، وإنما أقتصر كاتب السفر على بيان مخاطبة الله لنوح فحسب، وإن الصمت أحاط بشخصية

---

[١]سورة الصافات ، الآية (٧٩).

[٢]البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تخريج وتحقيق أحمد جاد، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، ١/ ١٣٤.

[٣]سورة الاعراف، الآية (٥٩).

[٤]سورة النساء، من الآية (١٦٣).

نوح في مجمل الإصحاحات، وكان الأجدر بكاتب السفر أن يعطي وصفاً عملياً لنوح كإنذار القوم من فاجعة ستحل بهم أثر غضب الله عليهم جراء الآثام التي نطق بها السفر، فضلاً عن النصح الذي يتوجب على الصالحين ـ ونوح رجلاً باراً قريباً من الله ـ عندما يعيشون في وسط حفته الفساد ـ كما وصفه السفر ـ ولابد من بيان دوره في ذلك الوسط وإذا كان الصمت مخيم على صورة نوح فلم يكن له أي دور دعوي في القوم، فلماذا نوح يتقرب من ربه بعد انزال حكم الله بالبشر المتمثل بالطوفان العظيم، ويبني مذبحاً محاولاً إرضاء الرب، لماذا لم يرضِ ربه قبل وقوع الحدث العظيم ويستغفر للناس ما أحدثوه من فساد في الأرض.

ومن الأمور الغريبة التي سطرها كاتب السفر هو وصف الحياة الجديدة والعهود والمواثيق فضلاً عن الشريعة الواجب إقامتها، ولننظر الى تلك النصوص:

١. نوح يرضي ربه: يقول كاتب السفر:" وبنى نوح مذبحاً للرب وأخذ من جميع البهائم والطيور الطاهرة بحسب الشريعة فأصعد مُحرقات على المذبح. وتنسم الرب رائحة الرضى فقال في قلبه لن العن الارض مرة أخرى بسبب الانسان فهو يتصور الشّر في قلبه منذ حداثته ولن أهلك كل حي كما فعلت"[١]. يتبين من هذا أن نوحاً عندما قدّم محرقات في المذبح من الحيوانات الطاهرة بحسب الشريعة، أن هناك شريعة لم تذكر تفاصيلها وقد اغفلها كاتب السفر، بل قد يكون لا علم له بها. وبعد رضى ربه

[١]سفر التكوين: ٨: ٢٠– ٢١

عندما شّم رائحة المحرقات من الحيوانات، علمنا أن الله إقام العهد مع نوح بعدم نزول اللعنة على الارض وأهلها.

٢. ثم بعد الرضا تتنزل التعاليم الالهية لنوح لتُكون النظام الجديد للعالم على حد تعبير سفر التكوين ومن تلك التعاليم التي تعد شرعة ومناهجا:

أ. التسخير والرهبة، يقول السفر:" وقال لهم أنمو وتكاثروا واملأُوا الارض وسيخافكم ويرهبكم جميع حيوانات الارض وطيور السماء وكل مايدب على الارض وجميع اسماك البحر فهذه كلها أجعلها في ايديكم "[١].

ب. تحريم أكل الحيوان حتى يذبح فضلاً عن دمه، يقول السفر:" ولكن لحماً بدمه لا تأكلوا لان حياة كل حي في دمه"[٢].

ت. القصاص في سفك الدماء:" أما دماؤكم انتم فاطلب عنها حساباً من كل حيوان أن انسان سفكها. وعن دم كل انسان أطلب حساباً من أخيه الانسان. من سفك دم الانسان يسفك دمه"[٣].

إذن هذه التعاليم الشرعية التي سطرتها فقرات السفر، وهى على الجملة تعاليم مقتضبة لم تبين الأحوال الدنيوية و الآخروية على التمام والكمال، ويبقى القول متسائلاً لماذا لم تُسطر هذه التعاليم في السفر قبل وقوع الطوفان العظيم. وتوجيه الناس حول شرعتهم كي ينالوا المغفرة والرضوان.

---

[١] سفر التكوين٩: ٢-٣

[٢] سفر التكوين: ٩: ٤

[٣] سفر التكوين: ٩: ٥- ٦

ثانياً: معالم دعوة نوح (عليه السلام)، كما وصفتها آي القرآن الكريم:

تحقق المخاطبات الالهية والنبويةوصفاً دقيقاً لدعوة نوح(عليه السلام)، واتضاح معالمها في آي القرآن الكريمومن ذلك:

١. دعوة قومه الى عبادة الله: قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ ﴾[١].

فصورة المخاطبة الالهية تنجلي مَعلمها في الانذار (أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ)، والصورة الثانية التي هي المخاطبة النبوية للقوم (قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ)، فبين الصورة الاولى والثانية أخبار الله تعالى عن بعثة نوح(عليه السلام)، وإنذار قومه، أي:" أنه أرسله الى قومه آمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم.."[٢].وبين الإنذار الظاهر صرف الأنظار وشغلها بعبادة الله وحده، أي:" اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه .. فيما أمركم به ونهاكم عنه"[٣]. وينجلي مقام نوح أمام قومه بأنه له شرف الرسالة ولابد من الإيمان به وبدعوته، يقول د. بكر زكي:" فكان الوصف بالإرسال مع الوصف بالأمانة وطلب طاعته باعتبارها مؤدية إلى طاعة الله، مع

---

[١]سورة نوح : ١-٣.

[٢]تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٢٠٥/٨.

[٣]المصدر نفسه.

التأكيد على الرسالة التي أوحى إليه بها.. وبيان مهمته (لينذركم ولتتقوا)"[١].

٢. الاخبار عن الوعد الإلهي: المراد بالوعد الالهي ليس كما نطقت به التوراة بعدم لعن الارض مرة أخرى، بل هو تحقيق الغفران وإطالة الآجل، كبشرى حققتها المخاطبة النبوية، قال تعالى حكاية عن مخاطبة نوح لقومه:" ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ ﴾[٢]، أي :" إذا فعلتم ما أمرتكم به وصدقتم ما أرسلت به اليكم، غفر الله ذنوبكم.. يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذي إن لم تنزجروا عما نهاكم عنه أوقعه بكم"[٣].

٣. تنوع اساليب المخاطبات النبوية:

أ. اسلوب الترغيب: المتأمل في السياق القرآني يجد أن الترغيب جاء بعد معاندة القوم لدعوة نوحالتي لم تتركأي اثر في نفوسهم، وعلى هذا لم يترك نوح دعوته ابتداءً بل اصطبر واحتسب ليحقق خصيصة الحلم التي هي إحدى خصائص النبوة. ثم ينصرف نوح الى بث شكواه الى ربه عن مواقف القوم: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ﴾[٤] .ويستمر نوح بدعوة قومه جهاراً واسراراً

---

[١]دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض،:١٣٤.

[٢]سورة نوح، الآية (٤).

[٣]تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير:٨/٢٠٥.

[٤]سورة نوح: ٥-٧.

مستعملاً اسلوب الترغيب، قال تعالى واصفاً مخاطبة نوح لقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[1]. نقل الرازيُ (رحمه الله)، في تفسيره قول مقاتل:" ان قوم نوح لما كذبوه زماناً طويلاً حبس الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فرجعوا فيه إلى نوح، فقال نوح: استغفروا ربكم من الشرك حتى يفتح عليكم أبواب نعمه"[2]، واستعمل نوح لفظة (غفاراً)، أي:" المراد: إنه كان غفاراً في حق كل من استغفروه كأنه يقول لا تظنوا أن غفاريته إنما حدثت الآن، بل هو أبداً هكذا كان، فكأن هذا هو حرفته وصنعته"[3] . وعلى هذا الوصف قّرن نوح من باب الترغيب في المغفرة بدوام عطايا الله تعالى ونعمه الفياضة على البشر والعطاء الموفور: من المطر المدار، والإمداد بالمال والبنين والبركة بهما، والبساتين والانهار.. متحقق تلك العطايا بالاستغفار، من أجل هذا قاد نوح انظار القوم الى تحقيق عوالم مادية جراء الاستغفار والترغيب به فحقق مقام الدعوة بالترغيب.

ب. أسلوب الترهيب :

ثم عدل بالقوم الى دعوتهم بالترهيب بعدما لم يجد الترغيب طريقاً الى قلوبهم، ومن أساليب الترهيب التي استعملها نوح كوسيلة لحمل القوم على الاستجابة لدعوته:

---

[1] سورة نوح، ١٠-١٢.

[2] التفسير الكبير ، الامام الفخر الرازي: ١٣٧/٣٠.

[3] المصدر نفسه:٣٠ / ١٣٨.

- تذكيرهم ببعثهم بعد موتهم، وان الله تعالى الذي خلقهم أول مرة يعيدهم بعد موتهم.

قال نوح مخاطباً القوم: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ ﴾[1]. وهذا التذكير قد ينصرف بعقولهم الى التفكر بقدرة الله (عزوجل) وعظمته، وان الذي عبدوهم من دون الله ليس لهم قدرة الخلق والايجاد، ولا الموت ولا الفناء، ولا البعث ولا النشور.

- صرف انظارهم نحو نعم الله تعالى وتذكيرهم بها، ففي خلق السموات والشمس والقمر آيات عظيمة ودلالات جلية على عظمة الله تعالى وقدرته:﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ ﴾[2]، ثم ذكّرهم بخلق الأرض ونعمة الله في تسخيرها والانتفاع فيها وما في بطونها:﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠ ﴾[3] .

وفي ذلك حقق نوح منهجاً جمع بين آيات الله في الكون وآيات الله في النفس البشرية. ليبين فيه عظمة الله تعالى وقدرته وانه خلق الاشياء كلها، وكان الأجدر بالقوم التدبر والتعقل في قدرة الله تعالى والخضوع إلى إرادته وتقواه.. من أجل هذا أنكر نوح على القوم معصيتهم وتمسكهم بعبادة الإلهة وقولهم: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ

[1] سورة نوح: ١٧-١٨.

[2] سورة نوح: ١٥-١٦.

[3] سورة نوح:١٩-٢٠.

وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[1]. لذلك صرف نوح القول بالتوبيخ:﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾[2]، والوقار العظمة والتوقير والتعظيم..[3].

ولم يؤمنوا له قومه: ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[4]، بعدما طالت مدة دعوته اليهم﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[5]، وبعد ذلك دعا الله﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾[6]، متضرعاً الى الله: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾[7]، ﴾[7]، شاكياً مواقف القوم من دعوته واتهامهم له بالجنون:﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾[8] ، فدعا عليهم ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾[9]، مبيناً اسباب دعائه عليهم: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾[10] . غير أنه دعا أن ينجيه وينجي من معه من

---

[1] سورة نوح، الآية(٢٣).

[2] سورة نوح، الآية (١٣).

[3] تفسير الرازي: ١٣٨/٣٠.

[4] سورة هود، الآية (٣٢).

[5] سورة العنكبوت، من الآية (١٤).

[6] سورة الصافات ، الآية(٧٥).

[7] سورة القمر، الآية(١٠).

[8] سورة القمر، الآيتان(٩-١٠).

[9] سورة نوح، الآية (٢٦).

[10] سورة نوح، الآية(٢٧).

المؤمنين، قال تعالى حكاية عن مخاطبة نوح لربه عبر الدعاء: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾[1].

إن ما تقدم من بيان لدعوة نوح(عليه السلام)، عبر المخاطبات نجد تنوع أسلوب الخطاب الذي استعمله القرآن الكريم، ليحقق الدلالات في الاخبار الجلي عن تلك الدعوة. وبالنظر الى سفر التكوين نجد ان المخاطبة لم تحقق لنا فيضاً كبيراً لمعالم تلك الدعوة.

المطلب الرابع: صناعة الفلك بين سفر التكوين وآي القرآن الكريم:

اولاً: الخطاب الالهي في صناعة الفلك في سفر التكوين:

بعد أن حظي نوح برضى الرب ونظر الله الأرض فرآها فسدت كما تقدم القول، جاء الخطاب الإلهي بمقدمات قبل إنزال العذاب العظيم. ولننظر ونتأمل نص المخاطبة." فقال الله لنوح: جاءت نهاية كلِّ بشرٍ فالأرض امتلأت عنفاً على أيديهم، وها أنا أَهلكهم مع الأرض، فاصنع لك سفينة من خشب .."[2]، ثم ثم يخبر كاتب السفر : " وفعل نوح تماماً كل ما أمر الرب به"[3]. وفي فقرة (١٦) وفقرة (١٧) من السفر الوصف الدقيق لمقاسات السفينة ومواصفاتها وطوابقها ونوافذها وأبوابها، ثم أمره :" فتدخل السفينة انت وبنوك وأمرتك ونساء بنيك واثنان من كل نوع من الخلائق الحية لتنجو بحياتها معك ذكراً

---

[1] سورة نوح، الآية (٢٩).

[2] سفر التكوين: ٦: ١٣-١٤.

[3] سفر التكوين: ٦:١٧.

وانثى.."[١]غير أن السفر لم يتعرض الى المدة الزمنية التي قضاها نوح (عليه السلام)، في صناعته للسفينة.وإننا لنقف موقف الغرابة من هذا التوصيف للفلك الذي سيبنيه نوح، فما هي الفائدة العظمى من ذكر المقاسات والطوابق .. وغيرها ، الا يشعر كاتب السفر أن هناك قضايا جوهرية مهمة في سيرة نوح لم يتعرض لها في التحقيق والذكر.

ويعلق التفسير التطبيقي على بناء نوح الفلك:" شرع نوح في بناء الفلك حالما أمره الله بذلك ولاشك في أنه حذر الناس الآخرين من الكارثة القادمة.. ولكن من الواضح أنهم لم يتوقعوا حدوثها..فآلاف الناس يُحذرون كل يوم من دينونة الله المحتومة ومع ذلك فغالبيتهم لا يؤمنون حقيقية بأنها ستحدث. فلا تنتظر من الناس أن يرجعوا ويقبلوا رسالتك عن دينونة الله القادمة من أجل الخطية، فالذين لايؤمنون بالله ينكرون دينونته، ويحاولون أن يحملوك على إنكارها مثلهم. ولكن اذكر وعد الله لنوح بحفظه آمناً، ولابد أن هذا يشجعك على الاتكال على الله لإنقاذك من الدينونة التي لابد أن تأتي"[٢].

ويحاول أصحاب التفسير التطبيقي إضفاء صبغة لإبراز مَعلم ولو بسيط لدعوة نوح، بقولهم:" ولاشك أنه حذر الناس الآخرين من الكارثة القادمة" وفي الوقت نفسه يشيرون إلى هذا التحذير في رسالة بطرس الأولى وتحديداً في الإصحاح الثالث، التي مفادها:" وذلك بعدما رفضوا البشارة في أيام نوح عندما كان الله يتأنَّى صابراً طوال المدة التي كان نوح يبني السفينة.."[٣].

---

[١]سفر التكوين: ٦: ١٩-٢٢، و ٧: ١- ٤.

[٢]التفسير التطبيقي: ص٢٤، الهامش٦: ١٨.

[٣]الفقرة: ٢٠.

وعند النظر المتأمل نجد ان هناك خلط بين تحذير نوح القوم وبين البشارة المذكورة في رسالة بطرسومن جانبين: فأما الاول: فكون نوح حذر القوم من فاجعة ستحل بهم لا نسلم به، بل هو اجتهاد من اصحاب التفسير التطبيقي، لأننا رأينا الصمت المخيم على دعوة نوح في الاصحاحات كلها في سفر التكوين، ولم نجد له أي نصح للقوم بالرغم من علمه بغضب الله تعالى عليهم جراء الذنوب والفساد الذي حّل في الارض، وأَما الثاني: فالبشارة المبسوطة في رسالة بطرس التي رفضوها ايام نوح، فليس مقامهما انذار القوم، ولكن لها معاني أخرى بالنسبة لمفسري الكتاب المقدس، ولنحققها في هذا المقام:

قبل الفقرة (٢٠) من رسالة بطرس، نرجع قليلاً ونقرأ الفقرتين (١٨، ١٩)، اللتان تبينان فداء المسيح(عليه السلام)، ولنقرأ :" فإن المسيح نفسه مات مرة واحدة لكي يحل مشكلة الخطايا، فمع أنه هو البار فقد تألم من أجلنا نحن المذنبين لكي يقربنا إلى الله، فمات بجسمه البشري ثم عاد حياً بالروح. بهذا الروح نفسه ذهب قديماً وبشّر الناس الذين أَصبحت أَرواحهم الان في السجن. وذلك بعدما رفضوا البشارة أيام نوح عندما كان الله يتانى صابراً طوال المدة التي كان يبني فيها السفينة"[١].

ولنقرأ الشرح التطبيقي لفقرات النص المقدس، يقول التفسير التطبيقي:" إن معنى هذه الآيات غير واضح وضوحاً تاماً، وقد شرحها المفسرون بعدة طرق، والتفسير التقليدي هو أن المسيح في الفترة مابين موته وقيامته أعلن الخلاص لاتباع الله الأمناء، الذين كانوا ينتظرون خلاصهم خلال فترة العهد

[١]رسالة بطرس: ٣: ١٨-٢٠.

القديم كلها .. ويعتقد مفسرون آخرون أن هذه الفقرة تقول إن روح المسيح كان في نوح حين كان نوح يكرز بالخلاص للمسجونين بالخطية، بينما يؤكد غيرهم من المفسرين أن المسيح ذهب إلى الجحيم ليعلن انتصاره الى الملائكة الساقطين المحبوسين هناك منذ أيام نوح.. وعلى أية حال فإن هذه الفقرة توضح أن اخبار المسيح السارة ليست محدودة، وأنه كرز بها في الماضـــــي كما في الحاضر وأنها وصلت الى الموتى كما وصلت إلى الاحياء .."[١].

نحن نجد انفسنا أمام تفاسير منوعة نجعلها تحت طائلة النقد والتحليل:

فالتفسير الاول يحاول ربط الخلاص لاتباع الله الامناء، ويقودنا الامر الى تساؤلات: فمن هم هؤلاء الامناء الذين ينتظرون خلاصهم في فترة العهد القديم؟ هل كانوا هؤلاء الامناء في قوم نوح وشملهم الله بالعذاب المحتوم المتثل بالطوفان، وإذا كانوا كما وصفهم التفسير اتباع الله الامناء لماذا لم ينجهم الله مع نوح، ثم عود على بدء نجد النص المقدس في فقرات سفر التكوين لم يستثنِ احداً في الوصف ولم يذكر أن هناك ابرار امناء سوى نوح وهذا شاهده، يقول النص:"وإذ ساد الشّر الارض أمام الله وعمها الظلم. نظر الله وإذا بها فاسدة لان كل بشر على الارض قد سلك في طريق الاثم"[٢] . وذكر كل البشر، فأين الامناء في هذا المقام؟.

واما التفسير الثاني الذي حاول اصحابه إفراد عقيدة الاتحاد والحلول بقولهم: إن روح المسيح كان في نوح حين كان يكرز بالخلاص للمسجونين بالخطية. وهذا يقودنا إلى القول لما كان روح المسيح في نوح فيكون لنوح

---

[١]ص٢٧٧٠-٢٧٠١، الهامش رقم ٣: ١٨-٢٠.

[٢]سفر التكوين: ٦: ١١-١٢.

شرف أعظم من شرف العبودية كونه عبداً باراً بربه، وبما أن المسيح (عليه السلام)، حسب التوصيف العقدي المسيحي(الابن)، الذي هو أحد أركان التثليث الذي هو (الآب، الابن، الروح القدس)، وتفسيره : (الله الآب، الله الابن، الله الروح القدس)، فيكون لنوح شرف الالوهية كما هي للمسيح (عليه السلام) على أساس حلول الابن الله في نوح.

ثم لماذا لم نجد أي اشارة في سفر التكوين عن هؤلاء المسجونين بالخطية بعد إقامة العهد مع نوح ولم يشرِ النص الى مصائرهم بعد غرقهم في الطوفان العظيم، أليس هذا يقودنا الى القول إن النص المقدس لم يتصف بالدقة في تحديد مسألة عقدية مهمة (عقيدة الخطية والخلاص)، وفضل المسيح (عليه السلام)، فيها.

واما التفسير الثالث، بقولهم:أن المسيح ذهب إلى الجحيم ليعلن انتصاره الى الملائكة الساقطين المحبوسين هناك منذ أيام نوح، فلاحاجة لذهاب المسيح الى لجات الجحيم، لأنه سيخلص بجسده الخاطئين على حد سواء و(ال) تفيد هنا استغراق الجنس أي كل الخاطئين، ولا أهمية لاختلاف الجنس هنا.

ثانياً: الخطاب الالهي لصناعة الفلك في آي القرآن الكريم:

مكث نوح في قومه ألف سنة الا خمسين عاماً وهو يدعوهم إلى طريق الله، قال تعالى حكاية عن مخاطبة نوح لقومه،﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾[1]،ثم ضاقوا بهف:﴿ قَالُواْ

[1]سورة يونس، من الآية (٧١).

يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1] ، ثم يأتي الخطاب الالهي الذي فيه إشارة الوعيد:﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[2]، ثم جاء الخطاب الالهي لنوح يأمره بصناعة الفلك: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾[3]، وبالرغم من تكذيب القوم وعدم الايمان بدعوته استمر استهزائهم به وهو يصنع الفلك: ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾[4] ، وهذا مقام الانذار لهم:﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾[5]، وعند انتهاء نوح من صناعة الفلك امره الله تعالى ان ينتظر أمره بالطوفان العظيم، ويحمل من كل زوجين اثنين، وأهله ومن آمن معه، الا من سبق عليه القول:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[6] . ثم حدث الطوفان

---

[1]سورة هود، الآية(٣٢).

[2]سورة هود، الآية(٣٦).

[3]سورة هود، الآية(٣٧).

[4]سورة هود، الآية(٣٨).

[5]سورة هود، الآية(٣٩).

[6]سورة هود، الآية (٤٠).

العظيم﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[1]. ولم تحدد الآيات الكريمة مقاسات الفلك وطوابقه والزمن الذي استغرق في صناعته.

شبهة ورد:صورت الآيات الكريمة دعوة نوح (عليه السلام)، والمخاطبات الالهية والنبوية تصويراً تاماًولا لبس فيها، الا اننا نجد انفسنا أمام شبهة حول دعاء نوح على قومه بالهلاك، ولابد أن يكون حليماً صابراً يحتسب أمره الى الله تعالى.

فالقول في هذا المقام إن الله تعالى فصّل دعوة نوح تفصيلاً تاماً كما ذكرنا، وقد أخبر الحق جل ثناؤة عن حلم النبي نوح وصبره، عندما أخبر عن مدة دعوته، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾[2]، في أي صبر وأي حلم ينبسط في ثنايا هذا الزمان. فالحق أن نوحاً لم يدعوا على قومه الا بعد أن استنفذ اساليب دعوته معه وبالرغم من عدم تطرق اليأس اليه، الا انه ايقن أن قلوب القوم غلفتها المعاصي والآثام ولا رجاء فيهم، ولنتأمل قليلاً مخاطبة نوح مه ربه: ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ۝٢٧ ﴾[3].

---

[1] سورة العنكبوت، من الآية(١٤).

[2] سورة العنكبوت، من الآية (١٤)

[3] سورة نوح، الآيتان (٢٦-٢٧).

المطلب الخامس: المخاطبة المقدسة في نهاية الخلق.

١. مخاطبة الله لنوح في نهاية العالم كما يصورها سفر التكوين:

جاءت نهاية العالم ـ على أثر شرور الناس التي تحدث عنها السفر ـ وخاطب الله نوحاً ليدخل الفلك ومن معه " وقال الرب لنوح هيا أدخل أنت وأهلك جميعاً الى الفلك.."[١]. وقد فصّل السفر الطوفان ونهاية العالم:" وما انقضت الايام السبعة حتى فاضت المياه على الارض ففي سنة ست مئة من عمر نوح في الشهر الثاني. في اليوم السابع عشر منه، تفجرت المياه من اللجج العميقة في باطن الارض وهطلت أمطار السماء الغزيرة واستمر الطوفان ليلاً ونهاراً مدة أربعين يوماً. في ذلك اليوم الذي بدأ فيه الطوفان دخل نوح وزوجته وابناؤه (سام، حام ، يافث)، وزوجاتهم الثلاث الى الفلك. ودخل معهم أيضاً من الوحوش والبائهم والزواحف والطيور.."[٢]. وينتهي الطوفان بعد ظهور الارض مرة ثانية، ويخاطب الله نوحاً :" اخرج من الفلك انت وامراتك وبنوك ونساء بنيك معك، واخرج كل ما معك من الكائنات الحية.."[٣] . ثم بعد الطوفان تحدث السفر عن الشريعة والميثاق وإقامة العهد الذي نصه:" أقيم عهدي معكم، فلن ينقرض ثانية بمياه الطوفان أي جسد حي، ولن يكون طوافناً آخر لخراب الارض. وقال الله هذه علامة العهد الذي أقيمه بيني وبينكم وبين كل خليقة حية معكم مدى الاجيال.."[٤].

---

[١] سفر التكوين: ٧ –١

[٢] سفر التكوين: ٧: ١٠–١٦

[٣] سفر التكوين: ٨: ١٦–١٧.

[٤] سفر التكوين: ٧: ١١–١٢.

اما الطوفان فيعد طوفاناً عالمياً وليست طوفان بقعة محددة من الارض على حد تعبير السفر والتفسير التطبيقي للكتاب المقدس:" بل بكل تأكيد حدوث طوفان شامل، فقد كانت هناك مياه كافية لتغطية كل اليابسة .. وبعد ذلك وعد الله الا يهلك الارض مرة أخرى بالطوفان. وعليه فهذا الطوفان إما أنه غطى كل الارض أو انه أهلك جميع الاجزاء المسكونة منها. واذكر أن السبب الذي أرسل الله لأجله الطوفان هو أن يمحو كل شر من الارض. ولابد أن هذا استلزم طوفاناً عظيماً[١]".وبعد نهاية الامر يخاطب الله نوحاً :" وبارك الله نوحاً وابناءه، قائلاً لهم: أثمروا وتكاثروا واملأوا الارض.."[٢].

إن ماتقدم من وصف توراتي للطوفان الارض يعطي لنا صورة متعددة، منها:

أ. دخول نوح وزوجته، وأولاده الثلاثة مع زوجاتهم، والازواج التي حملها من الكائنات الى الفلك وانجائهم فحسب..يؤشر لنا إن التقوى دارت في مدار نوح وال بيته، وإن الشر عّم الناس جميعاً، وخطاب الله لنوح من دخول الفلك وال بيته يؤشر لنا ولأول وهلة عدم معقولية النص المقدس، لأننا نخلص الى نتيجة قد تكون عقدية الا وهي إن كاتب السفر تعمد في سرد هذه الاحداث وبيان مخاطبات الله تعالى لنوح ليعمم قضية الانتساب، وإن إنجاء ال نوح بسبب انتسابهم اليه، وليس بسبب البر والتقوى، فلماذا لم يذكر الحق (جل ثناؤه)، في اصحاحات السفر شيئاً عن تقوى ال نوح؟، وقد وجدنا عند التحقيق في السفر إن الله نظر الى الارض ورآها فسدت، ونظر الى نوح ووجده رجلاً باراً،

[١]التفسير التطبيقي: ص٢٦، هامش رقم٧: ١٧-٢١.

[٢]سفر التكوين:٩: ١.

فلماذا لم يذكرهم الله في معرض البر والتقى، ويذكرهم في مشهد انجائه لهم مع نوح. وعليه كان يتوجب على كاتب السفر أن يذهب الى تحقيق تقوى ال نوح وبرهم، أو يستعمل أداة الاستثناء في ذكر أهل الارض، كأن يقول ونظر الله الى أهل الارض فوجدها فسدت الا آل نوح.

ب. حديث السفر عن طوافنية الأرض كلها. غير إن هناك تحقيقات علمية تثبت أن الطوفان محلي، وليست عالمياً.[١]

ت.إنجلاء الأرض من الفساد وشرور الناس، وإقامة العهد، وكأن قارئ السفر لأول وهلة يقدح في ذهنه إن الله تعالى اراد تطهير الارض من الفساد والذنوب عن طريق الابادة الشاملة لأهل الارض كما يصوره السفر بعالمية الطوفان، لتصبح الارض بعد نقية بيضاء ملساء لا آثام ولا فساد ولا ذنوب، يعيشها المتقون الذين نجوا من الطوفان، الا اننا لو عمدنا الى البحث في آثار الناس في الاسفار اللاحقة لسفر التكوين سنجد أفاعيل بشرية عظمت فساد الارض والناس زمن نوح (عليه السلام)، ومن جانب آخر حديث سفر التكوين عن العهد الذي أقامه الله تعالى، لن يغرق الناس ثانية، فلماذا هذا التوصيف؟ وإن غضب الله تعالى ابتداءً على القوم زمن نوح(عليه السلام)، بسبب الفساد والفساد حّل في الارض بعد نوح .. يقودنا هذا الى القول: إن الله تعالى انزل عقاب منوع على الاقوام التي عصته واشركت به، بعد انذار انبيائهم ورسلهم لهم وكل عقوبة تختلف عن الأخرى، يعني هذا إن

[١]للتوسع في عالمية الطوفان ومحليته يراجع كتاب دراسات تاريخية من القرآن الكريم، د. محمد بيومي مهران، الجزء (٤)/ ٢٩-١٠١.

الطوفان الذي سببه الفساد لم يكن طوفاناً عالمياً وعقاباً جماعياً لكل أهل الارض البتة ـ وسنقف بعد قليل في المنظار القرآني للطوفان ـ بل هو عقاباً خاصاً لقوم نوح لا علاقة لأهل الارض به،واما العهد الذي سجله السفر بان لا يغرق الله الارض بعد هذا الطوفان العظيم، وبالنظر الى واقع الامم التاريخي فقد سجلت وقائع طوفان عدة،ومثاله ما حدث في زماننا من اعصار"**سونامي** أو **السَّنَامَة** هو مجموعة من الأمواج العاتية تنشأ من تحرك مساحة كبيرة من المياه،مثل المحيط وينشأ التسونامي أيضا من الزلازل والتحركات العظيمة سواء على سطح المياه أو تحتها، وبعض الانفجارات البركانية والثورات تحت سطح الماء، والانهيارات الأرضيةوالزلازل المائي.."[1]، وكثير من حوادث الفيضانات وغرق الناس، وانهيارات للطبقات الطينية وغيرها التي تعد من كوارث الطوفانات، فأين العهد في حفظ الناس من كل طوفان أو من كل حوادث الغرق التي جابت سكان الارض؟.

ث.وبما أن الطوفان عالمياً بحسب سفر التكوين، فإن غرق الناس تحقق واخلى الله الارض للأبناء نوح الثلاثة، ليكون بعد ذلك من نسلهم سكان أهل الارض ويكون تصنيفهم بحسب الرواية التوراتية درجات ومقامات لتؤول تلك الاخبارات الى مسألة عقدية مهمة (النسل السامي)، من بين تلك الذراري. لقد وضعت التوراة لبنات التفوق البشرية بين الشعوب من حيث النسل السامي والنسل الملعون، إذ بعد الطوفان عمد كاتب السفر

[1]بحث منشور على موقع ويكبيديا، بعنوان: (تسونامي)، تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٧/٧م.

الى سرد قصة لعن أحد اولاد نوح بسب أنه رأى عورة ابيه وهو متكشف سكران في خيمته[1]، ومباركة نوح لسام، ونماء يافث وبركته.

وفي الوقت الذي نريد تحقيق مقامات المخاطبات المقدسة نجد خطاب نوح لأولاده يحيطه وصف لا يليق بالوصف المتقدم كونه رجلاً باراً، فالبار هو من أهل الصلاح، وأهل الصلاح لا يلعنون ولا ينتقمون، بل ديدنهم طلب الهداية للناس المسيئين واصلاح أمرهم وحالهم. فوصف نوح بها المنظور لا يتماشى مع شخصيته التوراتية، وإن دعاء التفرقة بين مباركة الابناء ولعن سواهم ماهي الا نسبة خجولة بحق نوح(عليه السلام)، وهذه النسبة تسير تحت عنوان التفوق وامتياز الجنس البشري عن بعضهم. من أجل هذا اضحت مخاطبات نوح مع ابنائه خارجة عن أي معقولية موضوعية، بل يرى الباحث أن الهوى جاس فكر كاتب السفر ليؤسس عقيدة سمو النسل اليهودي بعد ذلك ورفعته عن طريق تلك المباركة.

٢. مخاطبة الله لنوح في نهاية العالم كما يصورها القرآن الكريم:

يقدم لنا القرآن الكريم رواية الطوفان وفي سور وآيات عدة، فهذه السور والآيات تتحدث عن عقاب الله تعالى لقوم نوح، وقد قدّمت المخاطبات الالهية والنبوية الصور الجلية لذلك العقاب المتمثل بالطوفان، وبالمقارنة مع ما تقدم في سفر التكوين نجد إن القرآن يعطي صورة جلية عن العقاب الذي حل بقوم نوح، ولا علاقة لباقي البشر به كما صورته التوراة. يقول بوكاي:" ولكن قبل أن ننظر في مجرى الأحداث بالمعنى الحقيقي علينا أن نحدد الطوفان مثلما يخبر

[1] ينظر: احوال قصة لعن نوح لابنه حام ابو كنعان في سفر التكوين الاصحاح(٩)، الفقرات ٢٠-٢٥

به القرآن بالنسبة الى السياق العام للعقوبات التي أنزلها الله على جماعات اذنبت بشكل خطير بتعديها على وصايا الله"[1]. ثم يقدم بوكاي الشواهد القرآنية من الآيات الكريمة على وقوع عذاب خاص بتلك الاقوام.ويرى الباحث ان مذهب بوكاي في وقوع العقاب المخصوص على اقوام دون غيرها يقترب من الصواب، والآيات الكريمة أخبرت عن عقاب مخصوص بأمم سموا بأسماء انبيائهم، ومنها:

١. قال تعالى:﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2]. فهناك أحوال مكانية وزمانية لكل قوم مع نبيهم، ولا شمولية لاسم أهل الارض كما نطقت به التوراة.

٢. وقوع العذاب المخصوص على تلك الاقوام لكفرهم، وبالأخبار القرآني الصريح قال تعالى:﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ

---

[1] دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، دار الافكار للنشر والتوزيع، بيروت: ٢٤٦.

[2] سورة التوبة، الآية (٧٠).

﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1]، فقد قدّم القرآن الكريم معطيات موضوعية لذلك العقاب باعتباره عقاباً خاصاً، وهذا يشكل الفارق الاساسي مع الاخبار التوراتي.

هذا من جانب ومن جانب آخر إن الله تعالى عادلٌ لا يرضى الظلم لنفسه، فلا يأخذ الناس بعضهم ببعض، وقد أخبر تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾[2].

ورواية غرق أهل الارض كما سردتها نصوص سفر التكوين فيها نظر كبير عند المحققين بالرغم من ان هناك من ذهب مذهب التوراة في غرق أهل الارض، ولننظر نظرة هادئة في المخاطبة الالهية التي تتجلى عنها فهم الحدث:

١. ففي بادئ الامر خاطب الله نوحاً أن يدخل الفلك والركوب فيها، ويحمل معه أهله ، فضلاً على ان يحمل من كل صنف زوجين، مع مراعاة النظر الى استعمال أداة الاستثناء التي تحجب التعميم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾[3]. ومن الذين سبق عليهم القول، امرأة نوح، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ

---

[1] سورة الذاريات: الآيات ٣٨-٤٦.

[2] سورة الانعام، من الآية(١٦٤).

[3] سورة هود، الايتان(٤٠-٤١).

كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[1].

٢. مخاطبة نوح لابنه وكان ابنه مع القوم الكافرين وكان مآله الغرق:﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[2]. ثم أخذت نوح الشفقة على آبنه، ونادى نوح ربه عندها اجتمعت المخاطبة النبوية والالهية معاً وبيان القول الفصل في آبن نوح: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3].

٣. استغفر نوح ربه فخاطبه :﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4].

---

[1] سورة التحريم، الآية (١٠).

[2] سورة هود، الآية (٤٣).

[3] سورة هود، الايتان (٤٥-٤٦).

[4] سورة هود، الآية(٤٧).

٤. وأخيراً يأتي خطاب الله لنوح لتحل البركة والسلام عليه وعلى من نجى.. وما كان نجاة نوح والذين معهالا انهم آمنوا بالله: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1]. وفي هذا حقق القرآن الاخبار الحق في نجاة نوح والذين آمنوا معه، وهلاك أمرأته وولده وجملة الكافرين، وفي هذا تحقق الاخبار الجلي، واسقط القرآن الاخبار التوراتي في نجاة آل نوح كلهم،ليبين لنا ان التقوى هو الفصل في ميزان الله تعالى، ولا امتيازات لمجرد نسبة القرابة.

إن ما تقدم من بيان جلي لقصة الطوفان في القرآن الكريم يعكس لنا مفاهيم فكرية واسعة، وبالنظر الى المنظور الضيق الذي رواه كاتب سفر التكوين، فإننا نجد أن القرآن الكريم ركز على قيم دينية ثابتة التي تحارب الشرك والوثنية والمعبودات المادية، والدعوة الى صلاح القوم ليتجنبوا عقاب الله الواقع الذي ليس دافع. لذا بذل نوح(عليه السلام)، مبلغ جهده عبر الف سنة الا خمسين عاماً في دعوة قومه ليكفوا عن اصنامهم وشركهم بالله العلي العظيم، الا أن التعنت في العبادة والفهم المادي القاصر لحقيقية المعبود قادت الفكر الى مهاوي عظيمة فأسقطته في دائرة الشرك. فأسدلت الأستار عليهم وعلى سيرهم وأصبحوا آية لمن خلفهم بعد أن اغرقهم الله تعالى، ونجى الله نوحاً والمؤمنين.

[1]سورة هود، الآية(٤٨).

خاتمة الدراسة المقارنة ونتائجها:

تعدُّ الدراسات المقارنة من المناهج العلمية المهمة في علم مقارنة الاديان، ذلك لما تخلصه من نتائج مثمرة، وقد خاض الباحث مخاضاً علمياً في المخاطبات الالهية والنبوية المقدسة المتحورة حول نوح(عليه السلام)، وسيرته، التي بسطتها اصحاحات سفر التكوين،وآي القرآن الكريم، ونتيجة المقارنة خلصنا الى ما يأتي:

١. اظهرت الدراسة إلى أن المعطيات الموضوعية التي قدّمها سفر التكوين متواضعة في رفد البحث العلمي، فالوقائع التي حدثت في ازمان غابرة تحتاج الى توصيفات تحيط بأركانها كلها، ولاسيما سيرة نوح(عليه السلام)، التي لها الاثر البالغ في توضيح مسارات العقيدة السليمة، فضلاً عن العبرة والعظات التي تتجه بالعقل الى التفكر والتمعن في المالات العظيمة. وبالنظر الى المعطيات الموضوعية التي قدّمها آي القرآن الكريم نجدها كشفت الاستار عما جهلته اصحاحات سفر التكوين عن سيرة نوح(عليه السلام).

٢. لم تقدم اصحاحات سفر التكوين توصيفاً واقعياً عن الحالة الدينية لعصر نوح(عليه السلام)، بالقدر الذي ركزت على وصف أحوال الارض وأهلها ونعتهم بالفساد، وقد جَّذر كاتب السفر عن الفساد فروعاً ينتهي منها الى اعطاء مسوغ للإلهة لمحو كل ما يدب على الارض بإحلال الغضب ووقوع العذاب. بينما خلصت المقارنة مع آي القرآن الكريم الى ان الآيات قدمت وصفاً للحالة الدينية السائدة وكشفت الآيات عن عبادة قوم نوح الذين أُشربوا في قلوبهم عبادة الأصنام

والاوثان، التي اوصلتهم الى مهاوي عظيمة من دركات الظلمات التي كانت سبباً رئيساً في وقوع العذاب عليهم.

٣. اظهرت الدراسة ان هناك اتفاق موضوعي بين اصحاحات سفر التكوين وآي القرآن الكريم، على تقديم وصفاً سامياً لشخصية نوح (عليه السلام)، وأنه من الرجال الصالحين الابرار، غير أن ان القرآن الكريم لم يكتف بإظهار شمائله المحمودة بل أخبر عن نبوته ورسالته، وخط معالم منهجه الدعوي مع قومه.

٤. إن المخاطبات المقدسة لها ضوابطها، فالقرآن الكريم يخبر عن حقيقية غفلت عنها اصحاحات سفر التكوين الا وهي الوساطة التي تحدث الله بها مع نوح(عليه السلام)، والوساطة لها ثلاث أوجه كما تقدم في البحث التي هي إما ان تكون وحياً الذي هو الالهام والقذف في القلب أو المنام،واما على أن يسمعه كلامه من غير واسطة مُبلغ، وإما أن يرسل اليه رسولاً من الملائكة فيبلغ ذلك الملك الوحي الى الرسول البشري. وعلى هذا التحقيق يشعر الوجدان البشري بقوة خارقة عظيمة لا يحتملها البشر، فهي تعبر عن عظمة الله تعالى وقدرته وجلاله. فمنطوق المخاطبة بالنسبة لسفر التكوين مفتقرة افتقاراً تاماً الى فهم الكيفية التي غفل عنها كاتب السفر، فلا نعلم عن أي وساطة يتحدث بها، بل فهمنا ان الخطاب الالهي كاد أن يكون مباشراً مع نوح واولاده، وكأن هناك استواء بين الطرفين دون اجلال لمقام الله تعالى.

٥. عدّ سفر التكوين نوحاً رجلاً باراً صالحاً تقياً امتاز عن القوم بهذه السمات الجلية وفي وسط حفه الفساد والآثام، غير أن السفر لم ينطق

صراحة بنبوته أو يُهدف الفكر الى إشارات يفهم منها معالم دعوته، فمشهد الصمت خيم على أجواء القصة التوراتية، بينما نجد آي القرآن الكريم أفاضت ببيان معالم دعوته، فهي تخبر عن أساليب مرحلية وفق منهج التدرج استعملها نوح في دعوة قومه الى طريق الله تعالى، ومن ذلك استعماله لأسلوب الترغيب نحو الحصول على المغفرة من الله (عز وجل)، التي تتحقق عنها المنافع الدنيوية والآخروية كلها وعلى جملتها، ثم ينتقل من أسلوب الترغيب الذي لم يجد نفعاً مع قومه الا قليل منهم الى إنذار القوم من عذاب الله تعالى، والاهوال التي تُلم بهم في حال استمرارهم على الشرك والذنوب والمعاصي، ثم يذكرهم ـ كأسلوب دعوي ـ أنعم الله عليهم عندما سخر الله لهم كل ما هو مشهود حولهم من خلق خلقه الله تعالى.. فضلاً عن تذكريهم بعظمة الله تعالى في خلقهم وبيان مراحل خلقهم ونهايتهم، يحاول بهذا التذكير أن يصرف عقولهم الى ما هو محسوس مادي الى الايمان الغيبي ليلقى في قلوبهم وعقولهم طريقاً سائغاً يتفق عنه الايمان المشهود.

٦. وصف سفر التكوين عقاب الله تعالى للبشر بالعقاب الجماعي، وان أهل الارض كلها حق عليهم عقاب الله تعالى بسبب فساد الارض وأهلها، وكأن الصورة التوراتية تتمركز حول البشر كلهم، أي بمعنى أن البشر كلهم وقعوا تحت أوصاف الفساد وأنواعه، ولم نجد أن هناك وصفاً آخر لشرائح متعددة تعيش على الارض غير نوح وقومه، وهو تَخييل متعمد من كاتب السفر واصرار قلمه على أن كل أهل الارض هم: (نوح وقومه). بينما نجد القرآن الكريم يقدم لنا في معطياته

الموضوعية إخبارات عن وجود اناس صالحين ممن اتبعوا نوحا(عليه السلام)، في دعوته، آمنوا بالله تعالى وخلصوا بالتوحيد، وهؤلاء هم الذين انجاهم الله تعالى مع نوح من الطوفان العظيم، ولولا إيمانهم بالله تعالى لم ينجوا منهم احد عندها تتماشى الصورة التوراتية وتتوحد الرؤى في تقديم المعطيات الموضوعية لقصة العذاب ويكون الناجون نوح وآل بيته كما ذكرت التوراة التي أشعرتنا ان نجاة آل نوح بسبب الانتساب الى نوح وليس نجاتهم نتيجة التقوى.

٧. صّور سفر التكوين الطوفان الذي حّل بالأرض وأهلها طوافاناً عالمياً، وهو باتفاق مصادرهم، وقد اثبتت دراستنا ان الطوفان لا يمكن أن يكون عالمياً كون العقاب محلي ، أي خاص بمجموعة من أهل الارض فلا يتعدى - من عدل الله تعالى - الى غيرهم، فقوم نوح هم المعنيون بالعذاب جراء أفاعيلهمالشركية الوثنية، ومخالفة رسولهم نوح(عليه السلام)، فالعاقل يدرك أن العقوبة الالهية لا تلم بالجميع. هناك مؤمنون مه نوح فاستثنائهم الله من العذاب، وهناك أمم على الارض فلماذا يأخذه الله تعالى بذنوب قوم نوح.

٨. نزّه القرآن الكريم الله تعالى عما نسبته اصحاحات سفر التكوين من الحزن والتأسف والندم، بل أن الوصف لا يليق بالعزة الالهية الذي ينسب الى الله الجهل في خلقه، والحكمة التي أوجد لها البشر.

وختاماً أسال الله تعالى أن يجعل دراستي خالصة لوجهه الكريم، وأن يفتح علينا انه هو الفتاح العليم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل وصحبه وسلم تسليماً.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. أساس البلاغة، جار الله محمود الزمخشري (ت٥٣٨)، دار الفكر، بيروت ط١، ١٩٧٩م
٢. بحث منشور على موقع ويكبيديا، بعنوان: (تسونامي)، تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٧/٧م.
٣. البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تخريج وتحقيق أحمد جاد، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
٤. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (٨١٦هـ)، تحقيق: ابراهيم الايباري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت ١٤٠٥هـ.
٥. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة، مصر.
٦. تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، تحقيق: دكتور السيد محمد السيد وآخرون، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
٧. التفسير الكبير ، الامام الفخر الرازي: دار التراث العربي، بيروت، ط٣.
٨. تفسير الكتاب المقدس، جون ماك آرثر، دار منهل الحياة.
٩. تفسير آيات الاحكام ، لابي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابي جعفر الطبري، دار الفكر بيروت، ١٤٠٥هـ
١١. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، دار الافكار للنشر والتوزيع، بيروت
١٢. دعوة الرسل ، د. بكر زكي عوض، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م
١٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لابي الفضل شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: محمد أحمد الامد، و عمر عبد السلام السلامي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩.
١٤. شرح فصوص الحِكَم، لابن عربي المسمى توضيح البيان، الشارح سيد يعقوب خان أفندي (ت١٨٩٩م)، ضبطه وصححه وعلق عليه د. عاصم ابراهيم الكيالي، كتاب ناشرون، بيروت ـ لبنان
١٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار السلام ، الرياض، دار الفيحاء دمشق.
١٦. الكتاب المقدس، مقدمة سفر التكوين، جمعية الكتاب المقدس في لبنان.
١٧. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي ، ابي الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري الافريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت،ط٣، ١٤١٤١هـ

١٨. المدخل الى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الادنى.
١٩. مدينة الله، اوغسطينوس.
٢٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لاحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبي العباس (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت
٢١. معجم مقاييس اللغة، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥.)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر
٢٢. المفردات في غريب القرآن، لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الدوادي، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٤٢هـ،